أساليب إبداعية للاستثمار في اللغة العربية

د. فيروز رشام

جامعة البويرة. الجزائر

أُرتكبت في حق اللغة العربية أخطاء فادحة خلال القرن الماضي، خاصة في السنوات الأخيرة، ونحن اليوم نجني نتائجها الوخيمة. ولعل أكثرها تدميرا للغتنا، اعتماد اللغات الأجنبية كلغات أساسية في التعليم العالي، والمؤسسات الإدارية، والمواقع الإلكترونية الرسمية، والمواد التجارية، والسياحة، والإعلانات... وسواها، والترويج لها على حساب اللغة العربية. لذلك يجب تغيير استراتيجية التعامل مع لغتنا إذا كنا نريدها أن تعود لسابق عهدها وسالف مجدها، وتحتل مكانة مرموقة بين اللغات الأكثر انتشارا وتأثيرا في العالم. كما علينا إعادة النظر في آليات استخدامها بحيث يمكن الاستثمار فيها ماديا وتجاريا، وبالتالي جني أرباح مالية علاوة على الأرباح المعنوية، وهو ما يستدعي التفكير بشكل جدي في إيجاد طرق إبداعية وابتكارية للتسويق لها عبر وسائل الإعلام والإنترنيت والبحث العلمي والهياكل السياحية، وغيرها من مجالات الحياة ذات البعد اللغوي الحساس.

ومن الضروري أيضا تغيير النظرة السلبية السائدة اتجاه لغتنا، والتي تعكس الحالة النفسية والاجتماعية والثقافية لشعوبنا، والتي لا تكف عن اتهام العربية بأنها سبب تأخرنا. ففي حقيقة الأمر، يمثل عدم تقدير اللغة جزءا من عدم تقدير الذات. ومن وجهة نظر علمية، لا يمكن أن تكون اللغة في حد ذاتها متخلفة أو سببا في التخلف، كما لا يمكن بأي حال تطويرها دون أن يتطور متكلموها أيضا. ما يعني أن تقدم الإنسان العربي ورقيه هو ما يحدد تقدم لغته ورقيها، فإنتاج العلم والمعرفة هو سلاح البقاء لكل لغة، ولم يحدث أن فرضت لغة نفسها على العالم بالقوة بل بالذكاء والإنتاجية. لذلك يجب البحث عن طرق وأساليب إبداعية وابتكارية جديدة للترويج للغة العربية، وتسويقها بشكل استراتيجي يساهم في تعزيز مكانتها، وتنشيط حركيتها لتواكب تغيرات العصر السريعة.

ما هو وضع اللغة العربية اليوم ؟

لا يمكن القول بأنها بخير، فهي تعاني، ومتكلموها يعانون أيضا. وهي متهمة بإصرار بأنها سبب من أهم أسباب التخلف والتراجع الذي يعانيه العالم العربي، وهذا ليس سوى وجه من أوجه المغالطة، وسوء فهم للعربية والعربي في الوقت نفسه. فاللغة لاتتقدم أو تتأخر، إنما متكلموها من يفعلون ذلك، ومتى ما تطورت أمة حضاريا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا تطورت معها بالضرورة اللغة التي تنطق بها. والأمثلة على ذلك كثيرة، فالألمان متطورون باللغة الألمانية، واليابانيون متطورون باللغة اليابانية، ومع أنها ليست من اللغات المهيمنة في العالم اليوم، إلا أنها لم تمنع الناطقين بها من الوصول إلى أعلى مستويات التقدم والتطور.

أما المنافسة الشديدة الموجودة بين لغات العالم، وهيمنة لغات دون أخرى، فليست العربية في حد ذاتها مقصودة أو مستهدفة كما يتوهم البعض، وما أكثرها اللغات التي تعاني التراجع والهيمنة، وبعضها يعاني حتى خطر الموت والاندثار بسبب سيادة لغات على أخرى، لأسباب عالمية كثيرة تشمل السياسات الدولية، والقوى الاقتصادية، والأسبقية في الإنتاج العلمي والفكري وغيرها. إن وضع لغتنا ليس استثناءً، وما تعانيه العربية تعانيه كثير من لغات العالم[1]، لذا من الضروري جدا قبل البدء في تحليل وضع اللغة العربية ورصد مشكلاتها، استبعاد كل الأفكار العدائية الجاهزة والمسبقة التي تقول أن مخططا ما يحضر للإطاحة بلغتنا لأي سبب كان (وإن كان هذا محتمل الحدوث)، لأن العوامل التي تتحكم فعلا وبشكل مباشر في تقوية اللغة أو إضعافها، تأتي في أغلب الأحيان من داخل موطنها، وبفعل متكلميها، وليس من عوامل خارجية.

وقبل الشروع في اقتراح حلول استشرافية تفتح الآفاق لمستقبل أفضل للغتنا، لا بد من تحديد مواضع الخلل فيها بشكل دقيق. فمعرفة المرض، والاعتراف بوجوده، والرغبة في معالجته، تمثل في مجموعها الوصفة الحقيقة للدواء، ويبقى مفعول القرص الكيميائي في حد ذاته آخر وأبسط خطوة في عملية العلاج. واللغة ككائن حي ينبض بالحياة يتعرض خلال مراحل حياته للتلوث والاعتلال، للضعف والقوة، للتكاثر والاندثار، وغيرها من الظواهر الطبيعية، وكل هذه التحولات سنة تمر بها جميع اللغات دون استثناء.

ما هو وضع اللغة العربية اليوم ؟ هل ثمة معطيات علمية وواقعية تجعلنا نطمئن عليها وعلى مستقبلها، أم أن المؤشرات تنذر بالخطر ؟ في الحقيقة الأجوبة متباينة، والآراء منشطرة بين متشائم ومتفائل. ومع أني أرغب فعلا بأن أكون مع المتفائلين، إلا أن استقرائي للموضوع يجعلني أدرك أن وضع لغتنا سيزداد سوءا إذا لم يتم إنقاذها سريعا..

هل اللغة العربية حقا في خطر ؟

أجل إنها كذلك. أو على الأقل لنقل أن خطرا ما يترصدها ويجب أن نتصدى له قبل أن يستفحل. لكن المنطق العلمي يستوجب علينا عرض الوضع من الوجهتين، والنظر فيما أنجزته العربية لحد الآن، وما أخفقت فيه. حسب الإحصاءات والمعطيات العلمية المتوفرة حاليا، فإن أكبر خطر يمكن أن تتعرض له لغة ما، هو خطر الموت والاندثار، وهو مستبعد جدا في حالة اللغة العربية لأن عدد متكلميها في تزايد مستمر. هذا المعيار يعد من أهم معايير قياس مدى حيوية اللغات، حيث « تكون اللغة مهددة بالاندثار عندما تكون في طريقها نحو الانقراض، وتواجه لغة ما الخطر عندما يتوقف ناطقوها عن التحدث بها، فيستخدمونها في عدد متدني أكثر فأكثر من مجالات التواصل، و يتوقفون عن نقلها من جيل إلى آخر، وذلك يعني أنه ما من متحدث جديد، أكان في صفوف الكبار أو الصغار »[2]، وهذا ليس حال العربية في الوقت الراهن.

وحسب تقرير الأمم المتحدة الذي يقيم حيوية اللغات، فإن ستة عوامل أساسية هي التي تتحكم في ذلك وهي[3]:

1- انتقال اللغة عبر الأجيال
2- العدد المطلق للناطقين بها
3- نسبة الناطقين من إجمالي عدد السكان

4- التغييرات في مجالات استخدام اللغة
5- مواجهة مجالات ووسائل إعلام جديدة
6- مواد لتدريس اللغة ومحو الأمية

انطلاقا من هذه المعايير، خاصة الأول منها، فإنها تطمئن على مستقبل اللغة العربية، وتلغي احتمال اندثارها - على الأقل - على المدى القريب والمتوسط، فمشكلة العربية اليوم بعيدة جدا عن خطر الموت والزوال[4]. وتشير هذه المعطيات عند بعض المتفائلين « أن اللغة العربية تعيش حياة طبيعية من النشاط والحيوية والقدرة على المنافسة الشرسة وفرض الوجود في كل المجالات. وأنها بأكثر المقاييس استعمالا، تحتل مرتبة متقدمة ربما لم يكن الكثيرون يتوقعونها بين كبريات اللغات المسيطرة على العالم»[5].

وهي اليوم من بين اللغات العشر الأولى في العالم، حسب ما تشير إليه أغلبية الإحصاءات الخاصة بعدد مستعملي لغات العالم[6]. وتشير بعض التوقعات المتفائلة أيضا أن اللغة العربية ستكون من بين اللغات المتوقع زيادة عدد متكلميها وأنها ستصل لمراتب متقدمة جدا عالميا، قد تصل الخامسة أو الرابعة أو ربما للمرتبة الثالثة عالميا[7]! يضاف لذلك كونها من بين اللغات الست المعتمدة رسميا في هيئة الأمم المتحدة وجميع الهيئات والمنظمات المتفرعة عنها، كما أنها لغة رسمية في عدة هيئات إقليمية أخرى، لكن هذا الانتشار الكمي يشوبه - للأسف- تراجع وتقهقر كيفي لا يخفى على أحد.

وفي المقابل، فإن بعض الإحصاءات الجديدة للغات العالم، لا تعتبر العربية لغة حية، أو على الأقل هي في طريقها للموت، كالإحصاء الذي يذكره الباحث "شريف الشوباني" في مقدمة كتابه المثير والجريء "لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه" المتعلق بإحصاء "الألمناك" السنوي الصادر في مارس 2001، والذي يحمل آخر الإحصاءات العالمية في مختلف المجالات بما فيها الإحصاءات الخاصة بأهم لغات العالم. ففي قائمة لـ 230 لغة لم ترد فيها العربية، لأن الألمناك لم يعد يعتبر العربية لغة قائمة بذاتها، على أساس أن اللغة هي أداة التفاهم اليومي بين الناس وليست أداة الدرس والعلم.

ويرى هذا الإحصاء أن العربية صارت لغة لقراءة الكتب والمراجع، أما لغة التفاهم في العالم العربي فهي اللهجات. ما يعني أنه يعتبرها من اللغات الميتة التي يعرفها البعض، زاد أو قل عددهم، لكنهم لا يستخدمونها في تعاملهم اليومي. يضاف لذلك وجود جامعات ومعاهد لغات في أوربا وغيرها تقوم بتدريس اللهجات عوض عن العربية، بل وتوجد محاولات جادة لتقعيد اللهجات حتى تصير بمثابة لغات كاملة الأركان[8]. وبغض النظر عن مدى دقة هذا الإحصاء وصحته، فإنه من الواضح أن العربية فعلا يترصدها خطر من الداخل، يتمثل في اكتساح اللهجات للغة التواصل بل وحتى لغة الكتابة.

وحسب الباحث "عبد العلي الودغيري" في كتابه "اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية"، فإن أشد الأخطار فتكا باللغة العربية، وأشد ما يخشى منه على مصيرها ومستقبلها، هو المتمثل في "ثلاثي الموت" التالي[9]:

أولا: التعددية اللسانية المفروضة وآفاتها

ثانيا: الازدواجية اللسانية وخطر العاميات على الفصحى

ثالثا: تفريط أهل اللغة في لغتهم

في حين يرى "الشوباني" في كتابه المذكور سابقا، أن أكبر خطر ستواجهه اللغة العربية في السنوات القادمة يتمثل تحديدا في أنصار التجمد ورفض التجديد، الذين لا يسمحون بمسها بحجة حمايتها والمحافظة عليها، أو الاعتقاد الخاطئ بأنها لغة مقدسة (لأنها لغة القرآن الكريم)، ولا يجب أن يعتريها أي إضافة أو حذف أو تعديل بيد البشر[10] . فاللغة « العربية هي اللغة الوحيدة في العالم اليوم التي لم تتغير قواعدها الأساسية منذ 1500 سنة كاملة »[11]. هذا الإصرار على المحافظة عليها كما هي لن يحافظ عليها بل سيضيعها، فاللغة تحتاج للتجديد والتطوير. لهذا لا بد من إعادة النظر في القواعد الأساسية للغتنا لتصبح أداة فعالة لتفجير طاقات العقل العربي المحتبسة في هيكل اللغة المقدس[12].

وفي هذا المعنى، يسوق لنا الباحث المتحمس جدا لفكرة تجديد وتطوير قواعد اللغة العربية، أمثلة عن لغات العالم كيف تتطور، كالفرنسية مثلا التي لا يتجاوز عمرها خمسة قرون، والتي أصبحت لغة رسمية في عام 1539م. وكذا الإنجليزية التي بدأت نحو عام 1500م. ومع أنها لغات حديثة إلا أنها طرأت عليها تغييرات كثيرة لتواكب العصر، ليس في الأساليب والمفردات فقط، بل حتى في القواعد الأساسية التي تضبط النحو والصرف. أما اللغات القديمة كالعبرية واليونانية والصينية فإنها تختلف اليوم اختلافا جذريا عن اللغات الأصيلة التي كانت مستخدمة منذ أكثر من ألفي عام[13].

هذا هو الخطر الأول، أما الخطر الثاني، فيتمثل في الازدواجية اللغوية، أو كما يسميها "الشوباني" "الشيزوفرينيا اللغوية"[14]، أي الازدواجية اللغوية بين العامية والفصحى. فالخلط بين العامية والفصحى برأيه وضع غير طبيعي، « ويكلف العقل العربي إرهاقا ذهنيا يحط من قدراته، كما يشتت ملكاته الفكرية. ولأن الإنسان كما هو معروف لا يفكر بطريقة مجردة وإنما من خلال كلمات تتشكل في عقله، فإن العربي مهدد بانفصام في التفكير: هل يفكر بالفصحى أم بالعامية ؟ وأيا كانت الإجابة فمن المؤكد أن هناك تشويشا في عقله لا يساعده على الوضوح الذهني »[15].

سؤال آخر يطرح نفسه أيضا، هل يفكر بالعربية أم باللغة الأجنبية ؟ فنحن نعلم جيدا أن اللغات الأجنبية تحتل مساحة مهمة في العقل العربي، وبالرغم من كونها لغات مهمة ومطلوبة بإلحاح، غير أنها تشكل خطرا لا يستهان به. فالازدواجية اللغوية قد تؤدي لنتائج عكسية، لأن ازدواجية العربية مع الإنجليزية في المشرق العربي ومع الفرنسية في مغربه، هي في عمقها ازدواجية في الفكر أيضا كما يراها "مالك بن نبي". وفي النهاية يمكن لازدواج اللغة « أن يتولد عنه نتائج تتعارض كليا مع الثقافة الوطنية »[16]. وفي هذا الوضع تجد العربية نفسها تواجه منافسة من جهتين؛ اللهجات والعاميات من جهة، واللغات الأجنبية من جهة أخرى.

وهكذا أصبح الإنسان العربي البسيط يتكلم في حياته العادية لغتين على الأقل، وهي في المتوسط ثلاث لغات عند أغلب المتكلمين، وقد تصل عند المثقفين والمتمدرسين لأربعة أو خمسة وهي:

- اللغة العربية العامية (أو اللهجة المحلية المنطوق بها)، وقد ترافقها لغة محلية أخرى كالأمازيغية مثلا في بلدان المغرب العربي
- اللغة العربية الفصيحة لغة المدرسة وبعض المؤسسات الحكومية ووسائل الإعلام وغيرها
- لغة أجنبية أولى هي لغة معظم التعليم العالي ومؤسسات الدولة والبنوك والشركات وغيرها، وقد تكون هناك لغة أجنبية ثانية مفضلة أو مطلوبة

من الوهلة الأولى قد يبدو هذا التعدد والتنوع ثراءً نافعا نحسد عليه، لكنه في الحقيقة هو من أكثر العوامل المفككة للعربية وللعقل العربي أيضا باعتبار اللغة وسيلة للتفكير. طبعا المشكلة ليست في التنوع اللغوي في حد ذاته، لأن « التنوع اللغوي ضروري للتراث الإنساني، فكل لغة تجسد الحكمة الثقافية الفريدة التي يتمتع بها شعب ما. وبذلك تشكل خسارة أي لغة خسارة للبشرية برمتها »[17]، وفي هذا تتساوى اللغات الرسمية مع اللهجات والعاميات، فكل لغة منطوقة تمثل جزءا من تاريخ الإنسان في أي زمان أو مكان، لكن وضع اللغة العربية الفصحى في هذا التعدد اللغوي قد أربكها فعلا، كما أربك أهلها. والمشتغلون في مجال التعليم يدركون جيدا حجم معاناة المتعلمين والمعلمين أيضا، والتي يسببها الخلط بين الفصحى والعامية واللغة الأجنبية، في التفكير والكلام وبالتالي الكتابة.

أزمة لغة أم أزمة ثقافة ؟

حال لغتنا يعبر عن حال ثقافتنا ومجتمعنا، وهزيمتنا اللغوية ليست سوى انعكاسا لهزيمتنا النفسية والسياسية والاقتصادية. فمشكلة اللغة ليست سوى جزءا من مشاكل الثقافة، ومظهرا من مظاهر العقل العربي، الذي تطفو عليه عديد سمات التخلف[18]، وتبعا لذلك، فهي واحدة من مشاكل المجتمع المتعددة، على المستوى الفردي والجماعي. وعليه فإن « التخلف الذي تعاني منه العربية في التدريس والبحث العلمي والتخطيط مرتبط ارتباطا وثيقا بالتخلف العام الذي يعاني منه العرب إجمالا على مستوى الفرد والمجتمع والدولة »[19].

ففي الواقع، ليست لدينا أزمة لغة بل أزمة فكر، وهي « في العمق أزمة مجتمع لا أزمة لغة. فما دام أهل لغتنا في ضعف وهوان، وهزيمة نفسية وسياسية وعسكرية، وتخلف اقتصادي وتبعية ثقافية وعلمية ولغوية، وفي صراع وتنازع لا ينتهيان، فلا ننتظر من لغتهم أن تكون في وضع أحسن مما هم فيه»[20]. وطالما لا يوجد لدينا إبداع أو ابتكار، ولا علم ولا تكنولوجيا، فمن الطبيعي جدا أن تعكس لغتنا تراجعنا هذا. وكما قال "جبران خليل جبران": « اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الأمة، أو ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها، وفي الوقوف التقهقر، وفي التقهقر الموت والاندثار »[21].

كيف يتعامل العربي مع لغته ؟ هل هو حريص فعلا على الحفاظ عليها وتطويرها ؟ عندما نتأمل جيدا الممارسات اللغوية الشائعة يبدو واضحا أن « السمة الغالبة على طريقة تعامل أهل العربية مع لغتهم هي سمة التفريط واللامبالاة والتنكر والتخلي والتقصير في خدمتها واستعمالها وتهميشها في كثير من المجالات الحيوية. بل قد لا يخلو الأمر أحيانا من ملاحظة علامات الإعراض والنفور الذي يصل عند بعض الفئات إلى درجة الإحساس بالخجل من استعمالها، وكأن في ذلك منقصة أو مذمّة ومعرّة »[22]، حيث تسود نظرة سلبية عند عامة الناس، بأن تكلم العربية حصرا تخلف، وإتقان لغة أجنبية فخر وإنجاز ! طبعا لا اعتراض على ذلك، فإتقان لغة أجنبية فعلا فخر واعتزاز لأي إنسان من أية ثقافة كان، لكن ليس على حساب لغة الوطن، اللغة الأصل والأم.. هذا يحدث فقط في العالم العربي، حيث تستطيع أن تصادف آلاف العرب - إن لم نقل ملايين - ممن يتكلمون ويكتبون لغة أجنبية بشكل ممتاز دون العربية !

لهذا فإن « التحديات الحقيقية التي تواجهها اللغة العربية في عصرنا هذا، هي تحديات هذه الحالة النفسية المتأزمة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي، ويعانيها الإنسان العربي المسلم الذي حوّله هذا الوضع إلى كائن ضعيف هش مغلوب مستلب، وفي أحيان كثيرة إلى شخص متنكر لحضارته وتاريخه ولغته وثقافته، ومنبهر مشدوه بقوة الغالب وثقافته ولغته »[23]. فالتشكيك في قدرة العربية على مواجهة

العصر، والخوف من أن تكون عائقا للنجاح والتقدم، والخجل بها كما لو كانت عارا، هو ما أضعفها بالأساس، وحوّل اهتمام الناس منها إلى لغات أخرى.

يتصرف معظم العرب تجاه لغتهم بهذا الشكل - والاستثناءات في ذلك موجودة بالتأكيد - وهو ما يدل على عدم وجود وعي بأهمية موقفنا وسلوكنا تجاه لغتنا. فثمة حقيقة مهمة في هذا الموضوع يغفل عنها الكثيرون، وهي أن موقف أفراد المجتمع حيال لغتهم الخاصة غاية في الأهمية، لكونه عاملا أساسيا في دعم قوة اللغة وحضورها، فالموقف السلبي يضعفها ويفوت عليها فرص التقدم. كيف تتطور لغتنا ونحن لا نبالي بها ولا نقدرها حتى ! « إن الموقف الإيجابي هو أمر ضروري لتحقيق استقرار اللغة على المدى الطويل »[24]، وكل اللغات تحتاج لهذا الدعم من أهلها، وهو ما تفتقد إليه العربية بالضبط في الثقافة السائدة عند متكلميها.

ومع أن دعاة حماية اللغة العربية كثيرون، غير أن تعصبهم الشديد تجاهها، ورفضهم تجديدها وتطويرها من منطلق أنها لغة القرآن الكريم ولغة التراث العربي، جعلهم يساهمون في ركودها وجمودها عوض بعثها لتساير مقتضيات العصر الجديدة. ولعل اللغة العربية « هي نموذج واضح ورمز ملموس لتحجر العقل العربي ورفض التغيير من منطق التمسك بالماضي »[25] كما قال "الشوباني"، فاللغات التي لا تتجدد ولا تتطور، تضعف وتتراجع، وقد تؤول للزوال.

أخطاء في حق اللغة العربية

إن ما آلت إليه العربية اليوم من ضعف وتقهقر، ليس سوى نتيجة حتمية لسلسة الأخطاء الجسيمة التي ارتكبت في حقها، والتي تربت عليها فيما بعد عدة أجيال، فصارت تقليدا متوارثا في التعامل مع اللغة. والحديث هنا يخص تلك الممارسات الخاطئة التي ظهرت في الخمسين سنة الأخيرة، أي منذ أن نالت معظم الدول العربية استقلالها، وصارت لها السيادة الكاملة في تحقيق مصيرها السياسي وبالتالي اللغوي.. فمع أن العرب تربطهم بلغتهم علاقة عميقة وحميمة، إلا أنهم قصروا في حقها تقصيرا كبيرا، ولو قمنا بإحصاء كل الأخطاء التي ارتكبت، لوجدنا أن القائمة طويلة حقا، لذلك سيكون حديثنا مجملا وشاملا لأكثر الأخطاء إنهاكا للغة العربية.

والبداية بالتأكيد ستكون من وضع التربية والتعليم بكل مستوياته، من الحضانة إلى الجامعة، حيث يمكن حصر إحدى أكبر مشاكل لغتنا في المدارس العربية في « عدم وضوح الأهداف في أذهان كثير من مدرسيها، والاعتماد على مناهج تقليدية، وعدم العناية باستخدام الوسائل الحديثة، والتقاعس عن صوغ معايير دقيقة للتقويم وأساليبه، وعدم جدية الكثير من مدرسيها في أداء عملية التدريس »[26]. والأسوأ من ذلك، هو اعتماد المدارس الحكومية والخاصة للغات الأجنبية لغات أساسية عوض العربية، حتى الحضانة يعلّم فيها الطفل عديد اللغات إلا العربية !

يضاف لذلك اعتماد اللغات الأجنبية لغة للبحث العلمي وتلقين العلوم في أغلب التخصصات الجامعية منذ أكثر من نصف قرن. واليوم عندما ننظر في نتائج ذلك، ونتساءل عن الأهداف المنجزة - وهو حق مشروع وضروري - نصاب بخيبة أمل كبيرة، ففي النهاية لم تحقق الجامعات العربية شيئا يذكر بتبنيها للفرنسية أو الإنجليزية لغة للبحث والعلم [27]! إنه لمن المؤسف جدا أن مساهمة العالم العربي في الإنتاج العلمي والفكري ضعيفة لحد يخجل به.

سيحتجّ كثيرون على هذا الخيار لكون العربية فقيرة بالمصطلحات العلمية، وبالتالي عدم جدواها في الدرس العلمي، بل وتعطيلها للبحث إذا استخدمت فيه، لكننا نعلم يقينا أن العربية كانت لغة علم حينما كان هناك إنتاج علمي عند العرب، وما ألفوه بالعربية في الطب والفلسفة والمنطق والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها مازال إلى اليوم يشهد على ذلك، وهو ما يبطل حجتهم، فليس من الحكمة تحميل اللغة مسؤولية تأخرنا العلمي. أما التخصصات القليلة التي تلقن بالعربية، فمعظم المؤسسات التعليمية تقلص من حصص اللغة العربية في برامجها، ولا تعتبرها ت ذات أهمية، حتى أن معاملها يكون في أغلب الحالات أضعف المعاملات بين المواد الأخرى.

أما الانتشار الهائل للمدارس والمعاهد الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية دون العربية، فهي تعطينا صورة عن حجم اهتمام البلدان العربية باللغات الأجنبية وما تصرفه على تعليمها من ملايين الدولارات، فهي تستثمر في غير لغتها عوض أن تفعل العكس من ذلك لصالح العربية ! وهذا طبعا لا يعني أبدا بأن اللغات الأجنبية غير ضرورية ويجب توقيف تعليمها، إنما هي مقارنة بين ما يبذل من مال وجهد من أجلها ومن أجل العربية. ومن نتائج ذلك أن تجد العربي يتقن لغة أجنبية أو أكثر كتابة ونطقا، في حين أن عربيته سيئة للغاية.. أما التفاخر بإتقان لغات أجنبية عوض العربية فقد أصبح أمرا شائعا جدا، بل ويستقبح معرفة العربية فقط..!

وإذا نظرنا للغة المستخدمة في وسائل الإعلام العربية، السمعية منها والبصرية والمكتوبة، فهي أيضا لا تنبئ بخير. فهي لغة ركيكة جدا ومليئة بالأخطاء النحوية والصرفية والتركيبية، وهي في أغلبها تروّج للعامية أكثر من الفصحى. بل إن معظم القنوات التلفزيونية العربية تروّج للغة الإنجليزية والفرنسية أكثر من العربية، وتكتفي بتقديم ترجمة عربية باهتة أسفل الشاشة، وكذلك تفعل أيضا عديد الإذاعات والصحف. كما أن الكتابة بالعامية في الصحف اليومية والإعلانات، والتحدث بها في البرامج الإذاعية والتلفزيونية، من الظواهر الشائعة، حيث يتم تقليص استخدام الفصحى يوما بعد يوم، لتصبح لغة الأخبار فقط، وبعض البرامج الدينية والثقافية.

أما وضع اللغة العربية في الشبكة العنكبوتية فليس أفضل حالا، مع أن حجم وشكل تواجدها في الإنترنيت، يعد من أهم معايير تقييم مكانتها بين اللغات، وقياس مدى حيويتها وانتشارها. وفي هذا الصدد تشير الإحصائيات المتعلقة بوجود اللغة العربية في الإنترنيت أنها في المراتب المتأخرة[28]، وما يوجد فيها مكتوب بلغة ركيكة وضعيفة لحد لا يعقل. فالعربية المستخدمة اليوم في الشبكة سيئة للغاية وتشوه لغتنا لأبعد الحدود، لأنها مليئة بالأخطاء من كل نوع، وهي مزيج بين اللهجات والعاميات، وجزء منها يكتب بالحروف اللاتينية. أما ما يكتب بلغة فصيحة وسليمة مع احترام قواعدها فهو فعلا ضئيل جدا. يضاف لذلك كله اعتماد المواقع الرسمية، الحكومية منها والخاصة، للغات الأجنبية لغة رسمية لمواقعها عوض العربية. ونفس الوضع نجده في الرسائل النصية القصيرة التي يتم تبادلها عبر الهواتف النقالة، حيث الرداءة اللغوية بلغت أقصاها، بسبب اعتماد الحرف اللاتيني عوض الحرف العربي، إما لعدم توفر الأجهزة على الحروف العربية، أو ببساطة لأن الناس يستسهلون ذلك. كان بإمكان هذه الوسائل التكنولوجية أن تساهم في تطوير اللغة، لكننا نجدها قد ساهمت في إضعافها وتشويهها، وهذه حالة قلما نجدها في باقي لغات العالم.

ويبقى الخطأ الأكثر فداحة من كل الأخطاء السابقة، هو تعامل مؤسسات الدولة مع مواطنيها باللغة الأجنبية، واستخدامها لغة للمراسلات الإدارية والرسمية. فكيف تتعزز مكانة العربية وكل اللافتات

الإعلانية وواجهات المحلات وأسماء الشوارع والمكاتب وتقارير المؤسسات وبرامج التعليم بلغة أجنبية ؟ من سيهتم باللغة العربية إذا كان لا حاجة لها في البيت والشارع والمدرسة والعمل ؟ لماذا يستمر هذا الترسيخ للغات الأجنبية في المؤسسات العمومية والخاصة على حساب العربية إلى اليوم ؟

لقد أصبح وضع العربية اليوم مقلق بالفعل. فشيوع وكثرة الأخطاء اللغوية والنحوية لدى المتكلمين، وحتى لدى المدرسين والطلبة المتخصصين في اللغة العربية، وفي وسائل الإعلام، أصبحت من المظاهر المعتادة، وهي واحدة من أكثر الظواهر التي تشوه اللغة العربية وتسيء إليها. ومع أن نسبة الأمية قد تناقصت بشكل مهم في العالم العربي، وازداد عدد المتعلمين بشكل مهم أيضا، فإنه من الطريف حقا أن لغتنا كانت أفضل حالا عندما كانت نسبة الأمية أعلى ! وهو ما يؤكد أن خللا ما قد حدث في طريقة تعليمها..

هل من حل ؟

بالطبع هناك حلول كثيرة وناجعة. لكن من أين يجب البدء ؟ ليست تلك المشكلة، فأينما بدأنا العلاج يكون ذلك جيدا، لكن مشكلتنا في الثقافة العربية، كانت ولا تزال، هي مسألة الالتزام والتنفيذ.. فحياتنا مليئة بخطط لم تنفذ أبدا..! سنحتاج لسنوات طويلة لنرى نتائج هذه المقترحات، فاللغة لا تتغير بين عشية وضحاها، وحتى تظهر النتائج الفعلية علينا أن ننتظر جيلا على الأقل، فالمشروع بحاجة لأن نربي عليه جيلا كاملا، يكبر على عادات لغوية جديدة لصالح العربية لا ضدها.

البدء يكون بمراجعة وتطوير كل ما يتعلق بحسن إعداد المدرس، وضرورة اطلاعه على مناهج التدريس الحديثة، وكذا الاهتمام بأساليب التقويم، والطالب في حد ذاته كعنصر أساسي في عملية التعلم[29]، فهذا من الأولويات بالتأكيد. كما أنه من الضروري تعليم الناشئة باللغة العربية، حيث « تشير تقارير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي للدول التي تحتل موقع الصدارة وللدول المرشحة للصدارة أن استعمال اللغة القومية في التعليم، ومن ثمة في مختلف مناشط المجتمع يساعد في دفع المجتمع إلى الأمام »[30]. تطور اللغة مرهون بتطور المجتمع، والتخلف اللغوي ليس سوى شكلا من أشكال التخلف الفكري، لذا لا طائل من اتهام اللغة بأي نوع من التقصير، فالمقصرون هم أهلها.

والحل الأكثر ضمانا لاستمرارية العربية وتقويتها، هو أولا وأخيرا، امتلاك المعرفة وإنتاجها. فأهم أسباب تراجع العربية هو عدم الإنتاجية العلمية والفكرية والاقتصادية، وإن وجدت فهي ضعيفة كمًّا وكيفًا، مما لا يشجع أبدا على الترجمة منها. إن التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية ينتج عنها طبيعيا تبعية لغوية. لهذا نحن بحاجة لمراجعة بنية العقل العربي، ومعالجة التخلف على المستوى الفردي والجماعي، والسعي الجاد من أجل التقدم الاقتصادي والعلمي والاجتماعي. يضاف لذلك مراجعة وضع العربية على المستوى النفسي والثقافي والتربوي، واتخاذ التدابير المهمة لإنقاذها كالتخطيط اللغوي[31]، لأن عدم وجود تخطيط مستقبلي مدروس لإصلاح اللغة وتعزيز مكانتها، وعدم الصرامة في تنفيذ تعليمات الخبراء والباحثين التي يوصون بها من خلال البحوث المنشورة أو المؤتمرات، يؤخر تقدم لغتنا قرونا أخرى، فتتعقد الأمور ويغدو إصلاح هذه الأخطاء أنذاك شبه مستحيل.

إن التشجيع على الكتابة والتأليف، واستعمال العربية لغة رسمية في السياسة والتجارة والسياحة والخدمات والشركات سيكون له انعكاسا إيجابيا فوق حدود المنتظر. أما تطوير اللغة في حد ذاتها كلغة، فيبدأ أساسا من تيسير قواعدها وتبسيطها، وتقليص المسافة بينها وبين العاميات واللهجات قدر الإمكان.

أساليب إبداعية للاستثمار في اللغة العربية

قد تبدو المقترحات السابقة حلولا كلاسيكية، لذلك نحتاج إلى أفكار إبداعية وابتكارية تكون مختلفة عما يطرح عادة من حلول، وهذا يحتاج للتفكير "خارج الصندوق" كما يقول المختصون في علوم العقل والفكر.

قبل كل شيء، لا بد من التذكير أن الفنانين والأدباء والمبدعين في شتى الفنون، من أدب ومسرح وسينما وغيرها، يعتبرون أهم محرك للغة، وهم حماتها الفعليون. فما قدمه "دانتي ألغيري" للغة الإيطالية من خلال عمله الأدبي الكبير "الكوميديا الإلهية"، وما قدمه "شكسبير" للغة الإنجليزية من خلال مجموع مسرحياته، لا يضاهي أبدا ما قدمه اللغويون والنحويون أو السياسيون لهذه اللغات. وكم قال "جبران " فإن « مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع - الكائن أو غير الكائن - في مجموع الأمم التي تتكلم اللغة العربية »[32] .

وليس يجدي نفعا العمل على تطوير اللغة بمعزل عن متكلميها. هذه هي المعادلة؛ ستزدهر لغتنا عندما تزدهر أمتنا ثقافيا وحضاريا وعلميا. وقبل التفكير في حل مشاكل العربية، يجب التفكير أولا في حل مشاكل الإنسان العربي والنهوض به، بعدها ستنهض اللغة تلقائيا، ولن يحدث ذلك إلا إذا منحت ما يكفي من الثقة والتقدير، وعوملت كجزء من مقومات الهوية والشخصية والتاريخ، ودون ذلك لن تستطيع الصمود طويلا في زمن العولمة والتكنولوجيا الفائقة.

وبما أن أغلب مشاكل العربية داخلية، أي أنها تعاني الضعف داخل أوطانها وفي أفواه متكلميها، وليست آتية من ظروف خارجية، فهذا يعني أننا نستطيع التحكم في الوضع لحد كبير، إذا توفرت الإرادة وتم الالتزام بمخطط العمل. والمقترحات الآتية تمثل بعض الأساليب الإبداعية التي بإمكانها المساهمة في تصليح الوضع وتغييره للأفضل، وفتح آفاق للاستثمار فيها ماديا ومعنويا:

أولا: في مجال التعليم

- فرض التدريس بالفصحى لا بالعامية
- الحرص على أن تلقن العربية في الحضانة والمدارس الابتدائية كلغة أساسية عوض اللغات الأجنبية، وسن قانون يفرض ذلك
- فرض العربية لغة للتدريس في جميع الأطوار، ولغة البحث العلمي والدرس في الجامعة
- منح جوائز للمتفوقين في اللغة العربية عوض اللغات الأجنبية
- التشجيع على تحقيق المخطوطات العربية القديمة
- تأليف القواميس والمعاجم، المتخصصة والعامة، ومعاجم الجيب
- جعل اتقان اللغة جزءا من التحصيل العلمي، واعتبار اتقان اللغة أساسا في النجاح والتحصيل الدراسي، لا مجرد مادة ثانوية
- الاستعانة بالوسائل السمعية والبصرية في تعليم اللغة، وتطوير برامج ومناهج تعليمها وتبسيطها
- الاهتمام بتطوير العلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة علوم اللغة العربية
- تشجيع الكتابة والتأليف باللغة العربية، والترويج للكتب والكتّاب
- الترجمة من وإليها في جميع العلوم والفنون دون استثناء

- استغلال معاجم الألفاظ والمعاني القديمة واستخراج ما فيها من ملايين الأسماء التي يمكن استخدامها اليوم في تسمية المحلات والأماكن وغيرها
- تعليم اللغات الأجنبية كلغات أجنبية، لا كلغات لتلقين العلوم

ثانيا: في مجال تكنولوجيا الاتصال

- وضع تسعيرة منخفضة التكاليف للرسائل القصيرة المكتوبة بالعربية مقارنة بالمكتوبة بلغة أجنبية، أو طرحها مجانا لاستقطاب أكبر عدد من المستخدمين
- عدم السماح بتسويق هواتف أو حواسيب غير قادرة على استخدام اللغة العربية
- جعل العربية اللغة الرسمية لكل المواقع الإلكترونية الخاصة والعامة إجباريا، وعرض خدمة اللغات الأجنبية كخدمة إضافية لا العكس

ثالثا: في مجال تطوير اللغة

- استغلال قدرات اللغة العربية على الاشتقاق والنحت والتركيب والتعريب لإيجاد بدائل لغوية، واستيعاب جديد العلم والتكنولوجيا القادم من اللغات الأخرى، واستخراج كلمات وتراكيب جديدة
- إجراء إحصاءات لغوية سنوية لكل المفردات الجديدة والمعربة والمترجمة، وتقنينها وترويجها بشكل رسمي ليتم تداولها
- مراجعة المفردات العامية شائعة الاستعمال وترقيتها للفصحى
- تفعيل المجامع اللغوية وعقد دورات فصلية لتداول جديد اللغة وتقنين الشائع المستعمل
- تنظيم دورات تدريبية لتعليم اللغة لغير الناطقين بها، وعرض خدمة تعليمها في المرافق السياحية، مع وضع كتيبات ميسرة ومختصرة خاصة بالسياح والأجانب

رابعا: في وسائل الإعلام

- فرض استخدام الفصحى لغة لكل البرامج وتقليص استخدام العامية والمفردات الأجنبية
- وضع برامج إذاعية وتلفزيونية قصيرة لتعليم قواعد اللغة العربية والتنبيه للأخطاء الشائعة وعرضها في ساعات المشاهدة القصوى

خامسا: في المؤسسات العامة والخاصة

- توظيف مراجع لغوي في جميع المؤسسات العامة والخاصة أيا كان نشاطها، من أجل التدقيق اللغوي في كل ما يكتب وينشر
- وضع قانون خاص بتسمية المحلات والمجلات والفنادق والمنتجات الصناعية لصالح اللغة العربية مع توفير خدمة عرض قوائم ثرية بالأسماء للاختيار والتداول، ووضع حتى معاجم في ذلك إذا أمكن
- كتابة لافتات الشوارع والإعلانات باللغة العربية أساسا، وتقديم الترجمة كخيار
- فرض اللغة العربية الفصحى لغة رسمية في كل الوثائق والمراسلات الإدارية
- منع استعمال اللغات الأجنبية في مؤسسات الدولة العامة إلا لضرورة
- وضع قوانين صارمة لصالح العربية لا ضدها، وتعميم استعمالها وسن قوانين لحمايتها

- تقديم تحفيزات مادية ومعنوية لكل من يخدم العربية
- فرض اللغة العربية لغة إلزامية في علب التغليف الخاصة بكل المواد التجارية المصنوعة في العالم العربي

الهوامش والإحالات:

(1) حسب تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة UNESCO حول "حيوية اللغات وتعرضها للإندثار"، ينطق حوالي 97% من سكان العالم بنسبة تقارب 4% من لغات العالم. وفي المقابل ينطق حوالي 3% من سكان العالم بـ 96% من لغات العالم.
ينظر: تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة UNESCO حول "حيوية اللغات وتعرضها للإندثار"، فريق خبراء اليونسكو الخاص المعني باللغات المهددة بالاندثار عام 2003، منشور بموقع المنظمة، ص04
(2) نفسه، ص03
(3) ينظر: نفسه، ص08
(4) هناك من يرى أن العربية فعلا مهددة بالزوال لكن ليس بسبب ضعفها أمام اللغات الأخرى إنما بسبب اللهجات التي تكتسحها. وهو رأي صاحب كتاب "لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه" الذي يرى أنه على العربية أن تجدد نفسها وإلا واجهت بالفعل خطر الزوال لحساب اللهجات كما حدث للغة اللاتينية في القرون الوسطى الأوروبية، وهذا الاحتمال وإن كان بعيدا إلا أنه ليس من دروب الخيال العلمي.
ينظر: شريف الشوباني، لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2004، ص10

(5) عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط01، 2013، ص101

(6) ينظر: نفسه، ص92
(7) الخلاصة من تلك التوقعات أن اللغة العربية ستكون من بين اللغات الثماني المتوقع زيادة عدد متكلميها وهي: الصينية والإنجليزية والهندية والإسبانية والعربية والبرتغالية والماليزية والفرنسية. وفي توقع لـ"لوي كالفي"(2010) يؤكد أن العربية ستحتل عام 2025م الرتبة السابعة بين اللغات العشر الأوائل في العالم. وباستعمال معيار آخر، ستكون عام 2025م في الرتبة الخامسة، وفي 2050م في الرتبة الرابعة عالميا، وستظل تتقدم لتصل ربما للرتبة الثالثة عالميا. ينظر: نفسه، ص169
(8) ينظر: شريف الشوباني، لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه، ص06 وما بعدها
(9) ينظر: عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ص164
(10) ينظر: شريف الشوباني، لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه، ص51، وكذا ص71
(11) نفسه، ص13
(12) ينظر: نفسه، ص17 إذ يرى الباحث أن اللغة العربية غاية في التعقيد لمتعلميها اليوم بسبب جمودها وعدم تطويرها، فأصبحت مع مرور القرون قيدا يكبل العقل العربي. ينظر أيضا الصفحات 11 و12 و13
(13) ينظر: نفسه، ص53، 54

(14) ينظر: نفسه، ص125
(15) نفسه، ص127
(16) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، ط10، 2011، ص145

(17) تقرير منظمة الأمم المتحدة حول حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، ص03
(18) يصنف الباحث محمد محمد يونس علي في مقاله "أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر"مظاهر التخلف في العقل العربي وأسبابه إلى خمسة أصناف رئيسية هي:

1- الجزمية الفكرية، ويتفرع عنها نغمة الحسم في تقويم الأمور، وعدم تقبل النقد.
2- عاطفية التفكير، ويتفرع عنها الآنية والارتجال، واتباع الهوى وغياب العدل، والتفكير الشاعري.
3- التفكير المتمحور حول الذات (أو تضخم الأنا)، ويتفرع عنها الانتهازية، والاستغلال، والاستبداد.
4- التواكل الفكري، ويتفرع عنه الاستسلام للتفكير التآمري، وإيقاع اللوم على الآخرين، والاستسلام للواقع وعدم التضحية، وعدم المبالاة بأهمية الأمور، والنزعة التقليدية، وغياب التفكير الإبداعي (الإمعية)، والتفكير الهامشي.
5- سطحية التفكير، ويتفرع عنها قصر النظر، وغياب العمق، وصفرية الانطلاقة، وإهمال الكيف والاهتمام بالكم، والتفكير التشخيصي والتفكير الحشوي.

ينظر: محمد محمد يونس علي، مقال "أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر: دراسة في علم اللغة الاجتماعي"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج17، ع29، صفر 1425هـ، ص665 وما بعدها

(19) نفسه، ص660
(20) عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ص146
(21) محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية: بأقلام كبار العلماء والأدباء والكتاب في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص77

(22) عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ص141
(23) نفسه، ص81
(24) تقرير منظمة الأمم المتحدة حول حيوية اللغات وتعرضها للاندثار، ص15
(25) شريف الشوباني، لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه، ص185
(26) محمد محمد يونس علي، مقال "أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر: دراسة في علم اللغة الاجتماعي"، ص686، 687
(27) ينظر عبد الكريم خليفة، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2003، ص19

(28) في شبكة الإنترنيت تسيطر الإنجليزية بنسبة تزيد على 84%، تأتي بعدها بفارق كبير جدا الألمانية بـ 4,5%، تليها اليابانية بـ 3,1%، ثم الفرنسية بـ 1,8%، في حين لا تذكر العربية بين الدول الخمس عشرة الأولى الأكثر استخداما للإنترنيت.
ينظر: شريف الشوباني، لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه، ص48 .

في حين يذكر عبد العلي الودغيري، أن العربية تحتل الرتبة السابعة في الشبكة حسب بعض المصادر، وفي مصادر أخرى تحتل الرتبة التاسعة، والثانية عشر. ينظر: عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ص97

(29) ينظر: محمد محمد يونس علي، مقال "أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر: دراسة في علم اللغة الاجتماعي"، ص687 وما بعدها

(30) محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة: قضايا ومشكلات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2011، ص201

(31) ينظر المقترحات المطروحة من أجل وضع تخطيط لغوي لإنقاذ الفصحى، والتدابير الصارمة التي يجب الأخذ بها لحماية اللغة العربية وتقوية مكانة الفصحى ونشر استعمالها، وتقليص الهوة التي تفصلها عن اللهجات في: عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، ص235 وما بعدها

(32) محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية: بأقلام كبار العلماء والأدباء والكتاب في القرن العشرين، ص100

المصادر والمراجع:

- تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة UNESCO حول "حيوية اللغات وتعرضها للإندثار"، فريق خبراء اليونسكو الخاص المعني باللغات المهددة بالاندثار عام 2003، منشور بموقع المنظمة على العنوان التالي:
cf.www.unesco.org/culture/heritage/intangible/meetings/paris_march2003.shtml#_ftn2
- شريف الشوباني، لتحيا اللغة العربية: يسقط سيبويه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2004.
- عبد العلي الودغيري، اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط01، 2013.
- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2003.
- مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الإسلامي، تر بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، ط10، 2011.
- محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة: قضايا ومشكلات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2011.
- محمد صالح الصديق، مستقبل اللغة العربية: بأقلام كبار العلماء والأدباء والكتاب في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2007.
- محمد محمد يونس علي، مقال "أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر: دراسة في علم اللغة الاجتماعي"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج17، ع29، صفر 1425هـ.